

التنظير البلاغي عند الثغريّ

التأصيل والإجراء

إشراف الدكتور: محمد بلحسين
جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

إشراف الباحث: زعفان حاج
جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

الثغريّ هو أحد العلماء الجزائريين القدامى الذين نظروا للدرس البلاغي، نظرة لا يقل جهدا أهمية عن جهد البلاغيين القدامى كعبد القاهر الجرجاني والزمخشري، وذلك من خلال كتابه المخطوط "موضح السر المكنون على الجوهر المكنون" والذي هو شرح لمنظومة الأخضري في البلاغة المعنون بـ "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" الذي يعنى بعلوم البلاغة الثلاثة البيان والبديع والمعاني.

الكلمات المفتاحية: التنظير البلاغي، الثغريّ، السر المكنون، الأخضري، علماء الجزائر، الدرس البلاغي، علوم البلاغة، البيان، البديع، المعاني.

Abstract

Al Thaghri is considered one of the ancient Algerian scholars who initiated and theorized the rhetoric course, a work of no less importance than the efforts of the ancient rhetoricians such as Abd al-Qaher al-Jarjani and al-Zamkshari. This is through his manuscript "Mouwadih el Sir El Maknoun ala El Djaouher El Maknoun", which is an explanation of Al-Akhdari's system in the rhetoric entitled: "El Djaouher El Maknoun fi SadeF Ethalathet Founoun" which is concerned with the science of rhetoric, and an explanation of the three sciences of rhetoric, eloquence, metaphor and senses.

Keywords: Rhetoric course, eloquence, metaphor, sense

لقد عانت الجزائر وعلمائها من التغييب والإقصاء من جهات شتى، ولعل مقولة الرافعي في كفاءته تتماشى وإقصاء المشاركة لأدبنا، وذكر ذلك ابن بسام⁽¹⁾ في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وعائنا أيضا من استعمار فرنسي بغيض حارب مقوماتنا وهويتنا، وهذا ما أشار إليه الرافعي ذات يوم بقوله "ما ذلت لغة شعب إلا ذلّ، ولا انحطت إلا كان أمره إلى ذهاب وإدبار، ومن هذا ما يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرض على الأمة المُستعمرة وتركيبهم بها وإشعارهم بعظمتهم فيها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد:

تاريخ تسليم البحث: 17 ديسمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 01 فبراير 2016.

1- حبس لغتهم في لغته سجننا مؤبداً؛

2- الحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسياناً؛

3- تقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع⁽²⁾.

وهذا -لعمرك- ما وقعنا فيه من مطب مع تراثنا في ثلوث لازلنا نعاني منه في التعامل مع هذا التراث، انتقاص صديق وكيد عدو وتقاعس وارث فكيف تتم رثة تركة تخلى عنها وريثها الشرعي؟! .!

فالعامل الذي نحن بصددده هو بيان جهد لعالمين نحريين وهما الثغري* والأخضري** ، فالأخضري هو صاحب نظم في فنون البلاغة يسمى (الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون) ، والثغري هو شارح هذا النظم بما يسمى (شرح الجوهر المكنون) ، وهو جهد عظيم لعالمين جزائريين قدما للساحة اللغوية التي عانت من الإهمال والإجحاف وهذا غيض من فيض.

فإن ساحة البحث في ميدان البلاغة العربية لم تخل من جهود علماء الجزائر ومفكرتها، ففضلاً عن عبد الرحمن الأخضري الذي كان له كبير فضل بإمداد التراث الجزائري بالكثير من المؤلفات في شتى العلوم، نجد أبا العباس أحمد بن حسن القسنطيني (-809هـ) بمؤلفه "التمحيص في شرح التلخيص"، وابن مرزوق الحفيد (-842هـ) بنظمه أرجوزة في تلخيص المفتاح، وأحمد بن زاغو التلمساني المغراوي (843هـ) ، بشرح التلخيص، وأبا إسحاق الزواوي (857هـ) في كتابه تلخيص التلخيص، وأحمد بن عبد الرحمان أبا العباس الخلوف (909هـ) بمختصر تلخيص المفتاح، وأبا راس الراشدي المعسكري (1238هـ) بحاشيته على مختصر السعد، وغيرهم.

هذا ناهيك عن من هم مغمورون وجهودهم في ميدان البحث العلمي لم تظهر إلى الساحة، والحديث ههنا ذو شجون فمن تقديس لتقديم إلى درجة التضييع أو افتتان بوافد جديد يصل إلى درجة الإمعاء فالمسؤولية كبيرة والأمانة عظيمة لإحياء هذا التراث المهجور الذي أصبح لزاماً علينا أن نهتم به فنحقق ما وجب تحقيقه، ونصنف ما وجب تصنيفه، ونترجم للأعلام اللذين هو في حاجة إلى ترجمة.

لقد اعتمد الثغري في شرحه على مسأيرة النظم من جهة وشرحي الأخضري والغزي، فشرحه كان لمنظومة الأخضري في البلاغة والتي سبقه إليها شرحان، أحدهما للناظم نفسه، والآخر للغزي، فامتاز بتوضيح وتحليل موسعين وبثراء يدل على سعة علم صاحبه.

لقد قسم هذا الشرح استطرادات كثيرة لم تخرج عن الإطار العام لموضوعات النظم والشرحين المذكورين، بل زادت وضوحاً وتنوعاً من حيث إفادات سابقه واجتهاداته الشخصية، وهو الأمر الذي أضفى على شرحه صبغة الموسوعية والغزارة.

لم يغفل الثغريّ وهو يتعامل مع مخطوط الأخصري المصطلحات المختلفة بلاغيا وصرفيا وحتى كلاميا، من حيث تعريفها لغة واصطلاحا، ولم يقتصر الأمر على التعريف بل في الكثير من الأحيان يتوسع تفصيلا في القضايا النحوية والصرفية والكلامية، حيث يقول في تعليقه على تعريف القرآن: "والقرآن فعلان بمعنى مفعول، أي مقروء، وجعل اسما للنّظم المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبّد بتلاوته، المتحدّي بأقصر سورة منه للإعجاز. وهذا هو المسّى في علم الأصول القرآن، وأمّا المسّى في عرف المتكلمين، فهو النفسي القائم بذاته تعالى" (3).

- تأثرا بالأخصري وبمن تأثر بهم الأخصري، اعتمد الأسلوب الكلامي المنطقي في تناوله لكثير من المسائل والقضايا البلاغية، حيث نجد ذلك واضحا عندما نطالع الكيفية التي ذكر بها الدلالة الوضعية وتقسيماتها: مطابقة، تضمّن والتزام.

يقول في تفرقة بين البرهان والدليل: "والفرق بين الدليل والبرهان، أنّ الدليل يطلق على القطعي والظني، والبرهان لا يطلق إلا على القطعي، فالدليل أعمّ والبرهان أخصّ، والنسبة بينهما العموم بإطلاق" (4).

لقد بدا واضحا أثر بيئة الصوفية الجزائرية الأصلية- والتي لا ينكرها إلا حاقدا أو جاحدا- وذلك من خلال عرضه للكثير من مسائل التصوف التي لها علاقة بالنّظم، فعند شرحه مثلا لكلمة (ذكر) في البيت السابع بعد المائة من النّظم المشروح يقول: "والذكر لغة مصدر ذكر الشيء بلسانه إذا تلفظ به ونطق، وضده الصّمت والسكوت، وذكره بقلبه إذا استحضره وحفظه وضده الغفلة والنسيان" (5).

ثم يقول -بعدهما استدللّ بقول القشيري- "ولهم في الذّكر وأحكامه كلام، محلّ بسطه غير هذا المحل" (6)، كما أنّه سار على درب الأخصري بإكثاره من ذكر المصطلحات الصوفية، كالعارف والحضرة، والمجاهدة ودائرة القدس، والعلم اللدني، والمناجاة وغيرها ممّا هو مستعمل في عرف علماء التصوّف، حيث يقول: "والعارف هو من أشهده الرّب نفسه، فظهرت عليه الأحوال، أي مرتقيا من فهم أسرارهِ وتديبره آياته إلى حضرة العرفان. والمراد بالحضرة عند السّادات الصّوفية دائرة القدس والطهارة والكمال التي وصل إليها السّالك...ويُلقبونها بحضرة القدس والحشرة الرّبانية، ومن وصل إليها كان قلبه عرشا من عروش التّجليات، وطورا من أطوار المناجاة، وعينا من عيون المشاهدات، وسار ممن يقابل بالفيض والإلهام وصار صدره عينا من عيون الحكمة، وبابا من أبواب العلوم اللدنية، يلتقط من بحر قلبه وجواهر الحكمة، وصارت همته تابعة للأمر الإلهي" (7).

التنظير البلاغي عند الثغري، التأصيل والإجراء _____ جملة فصل (الطلاب)

ويذهب الثغري إلى أنّ منحنى التصوّف هو الكفيل بمحو غبار الغفلة، وإنارة الطريق أمام طالب العلم كون إزالة الجهل لا يكون إلا بالعلم، فبقدر ما بالجهل من مضار ففي العلم فوائد، إلا أنّ هذا لا يكفي باعتبار أن الفقه والتصوّف صنوان لا يمكن الفصل بينهما، وهي الحد الفاصل بين الحقيقة والشريعة عند أهل الأذواق

لَوْ كَانَ لِلْعِلْمِ دُونَ الثَّقَى شَرْفٌ لَكَانَ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِبْلِيسُ.

- عدم إهماله للأمانة العلمية، وذلك بإرجاعه الأقوال والآراء إلى أصحابها، بل لم يتحرج من أن يصرح بقوله: "واعتمادني في النقل على الشرحين المذكورين وسعد الدين التفتازاني وبعض كتب البيان⁽⁸⁾". حيث كانت منهجيته في التعامل مع هذا المنقول منهج مناقشة بين تأييد ومخالفة تستند إلى دليل باستعماله لعبارة: ولم ينبّه على ذلك، ولو قال كذا لأجاد، وفات الناظم، وهذا مناقض لما ذكره.

فتأمل ما قاله⁽⁹⁾ فيتعليقه على قول الأخصري في شرحه لعموم المسند إليه: "وكلما كان الثّفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد، كقوله -صلى الله عليه وسلم- لذي البيدين: كل ذلك لم يكن. لما قال له: "أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله. وهذا مناقض لما في نظمه الموسوم (بالسُّلم المرونق في علم المنطق) ، فإنه باب الكلّ والكلية والجزء والجزئية:

الْكُلُّ حُكْمُنَا عَلَى الْمَجْمُوعِ كَكُلِّ ذَاكَ لَيْسَ ذَا وَفُوعِ
وَحَيْثُمَا لِكُلِّ فَرْدٍ حُكْمًا فَإِنَّهُ كَلِيَّةٌ قَدْ عُلِمَا

وطالع كذلك ما قاله: "فات الناظم - رحمه الله- في براعة استهلاله الإشارة إلى علم المعاني في هذا البيت. والوزن يساعده، لأنه قد أشار في البيت السابق بالبديع والبيان، وكان له أن يشير في هذا البيت إلى علم المعاني من غير تكلف، ولو قال: شمس المعاني في صدور العلماء لأجاد-"⁽¹⁰⁾.

-كثرة الاستشهادات إلى درجة أنّها فاقت إلى حدّ كبير ما استشهد به الأخصري في شرحه لنظمه، بحيث قلّمَا يجد موضعا يخلو من الشاهد الذي كان متنوعا ومحيطا بالمزاد:

- فاستقى من نبع القرآن الكريم، أين بلغ عدد الآيات المستشهد بها ثنتان وسبعون وأربعمائة آية، ما يقابل ستا وتسعين وثلاثمائة آية في شرح الأخصري.

- ومن معين الشعر العربي بمختلف عصوره، بداية من العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي ونهاية إلى ما جادت به قريحته وموهبته في ميدان قرض الشعر، فبلغت بذلك الأبيات المستشهد بها واحدا وأربعين وخمسمائة بيت، بما يقابل مائة وثلاثة وأربعين شاهدا.

ومن الأقوال والأمثال عدد متواضع مقارنة بما أورده من نصوص قرآنية وحديثية وشعرية، من أقوال الصحابة والتابعين وكثير من العلماء. ومما يلاحظ في تعامل الثغري مع النصوص المستدل بها أنه وقف عند الشاهد ووضحه في شرحه بخلاف الأخضري الذي في الكثير من الأحيان ذكر النص دون توضيح الشاهد في شرحه.

كما استخدم عبارات مشاكلة لما وظّفه الأخضري في مستهل الفقرات ونهايتها، وفي الانتقال من موضوع إلى آخر، ومن باب أو فصل إلى آخر، من قبيل كذا... يعني أن... وفي البيت الإيجاز... ولما فرغنا من كذا... ثم شرعنا في... وهذا التلويح يساعد القارئ على الفهم والتمتع بسحرية وفضاءات العلوم البلاغية.

- اجتهاده البالغ في تحصيل كل مأمول وتوضيح كل غموض، وذلك بالشرح المستفيض بغير إطناب ممل ولا إيجاز مخل، حيث تطرّق فيها لكل نقطة قدر أنّها مازالت غامضة وكل عبارة لا زالت في حاجة إلى توضيح وتوسيع بأساليب متنوعة بين التقرير والاستفهام، فلم يترك تساؤلاً إلاّ وأجاب عنه، ولا مهماً إلاّ وأزال إبهامه بلغة متمكنة، وموسوعية جالبا للانتباه وشفافيا للغليل. وذلك بشرح الغريب، وتعليل التقديرات النحوية والأوزان الشعرية حيث يقول: "إنما قدّمه على البيان لأنّ البيان إنّما يعتبر بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، فنسبته إليه كنسبة المفرد إلى المركب، والمفرد متقدّم على المركب طبعاً ووضعاً فقدّم عليه"⁽¹¹⁾. ويقول أيضاً: "علم خبر محذوف، أي هو علم، وبه متعلق بيّرى، ويرى بضم الياء المثناه النحتية مبنية للمجهول، ولفظ بالرفع نائب الفاعل، ومطابقاً لمفعوله الثاني ولمقتضى متعلق بمطابق"⁽¹²⁾.

لقد كانت مصادر المخطوط كثيرة ومتنوعة، وبقراءة إنتاجية وعميقة متفحصاً لكامل موضوعات ومسائل المخطوط، نخلص إلى أنّ الثغريّ في شرحه الكبير اعتمد مرجعية واسعة ومتنوعة. فمن هذه المصادر ما له علاقة بعلوم البلاغة وهو الأصل، ومنها ما له علاقة بعلوم أخرى تحدث تقاطعات لفظية لغوية أو معنوية أدبية.

أما الكيفية التي اعتمدها شارحنا في التعامل والنهل من معين هذه المصادر فكانت:

- إما بذكر النصّ معزو إلى مؤلفه دون ذكر المؤلف.

- وإما بذكر المصدر دون ذكر المؤلف.

- وإما بذكر المصدر ومؤلفه معاً.

- وإما بذكر المصدر دون النص.

- وإما بذكر المؤلف المصدر والنصّ.

التنظير البلاغي عند الثغري، التأصيل والإجراء _____ جملة فصل الخطاب

أكثر الثغري من النقل دون إحالة إلى المصدر المنقول منه، وهو ما صرح به بقوله:
"وانتقلت غالب ألفاظهم ونصوصهم وجواهر عباراتهم ونصوصهم الصافية الحسان"⁽¹³⁾.

فهذا التنوع والثراء في المرجعية الذي أضفى على هذا الشرح الضخم صبغة الموسوعية، يدل دلالة واضحة على سعة علم هذا الرجل، وحرصه الكبير على مبدأ الأمانة العلمية، كونه ممن يحترم جهود الآخرين ويقدم لأرائهم وزنا، وبين هذا وذاك تواضعه المستمد من سرّ علاقته بخالقه، الذي لم يجعله يتحرج من أن يضع نفسه في صف المبتدئين في طلب العلم، وما أرى الشيطان في قاع جهنم إلا لأنه جعل النار أرقى منزلة من الطين.

لقد أبان الثغري عمّا في نيته وقصده من وراء تأليفه لهذا الشرح الكبير والتي تكمن في إبراز وتوضيح ما غمض وإكمال ما نقص من الشرحين المعتمدين، شرح الأخضري وشرح الغزي، دون انتقاص لمجهود العالمين حين يقول: "وقد شرحها ناظمها شرحا مفيدا وأعرب عمّا في ضميره"⁽¹⁴⁾. ويقول: "ثمّ شرحها الشيخ الغزي وأجاد"⁽¹⁵⁾ لكن جلّ من لا يسهو، وسبحان من أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا، حيث علم بإيمان وتواضع أن العلم سلسلة متصلة الحلقات يكتمل لاحقا سابقا.

إن المتأمل والمتصفح لشرح الثغري يدرك أنّه غزير العلم وموسوعي الطرح من خلال معالجته المتنوعة للموضوعات من فقه ومنطق ولغة وتفسير، متأثرا بمن سبقه من العلماء الربانيين الذين وهبوا حياتهم لخدمة الدين والعلم، وتأهلا من قريحته وموهبته الفذة.

وقد قسم موضوعات كتابه- شارحا عمله -إلى:

- ديباجة

- مقدمة

- ثلاثة فنون: -المعاني والبيان وعلم البديع -وقسم كلّ فن إلى أبواب وفصول.

- السرقات وتوابعها.

- جملة المحسنات اللفظية والمعنوية

- فيما لا يعد كذبا

- خاتمة

الملاحظ في هذا التقسيم والتبويب أنّه تأثر بسابقه خصوصا الأخضري والغزي والتفتاراني، بل تأثر بنصوصهم وألفاظهم أين يقول: "واعتمادي في النقل على الشرحين المذكورين وسعد الذين التفتاراني وبعض كتب البيان، وانتقلت غالب ألفاظهم ونصوصهم وجواهر عباراتهم ونصوصهم الصافية الحسان، وقصدت بذلك التبرك بهم والتمسك بأذيالهم، والتفجع لنفسي وللمبتدئين مثلي من الإخوان".

أما الديباجة فقد قدم الثغرّي لشرحها بديباجة ضمنها الدوافع الأصلية التي دفعته إلى تأليف هذا النظم بخلاف شرح الأخصري الذي لم يتعرض لتمهيد منظومته، المتضمن لأسباب وضعه واسمه وأهميته، واكتفى حصراً بشرح المطلع الخاص بمعنى الحمد والشكر وما يتعلق بهما.

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرّشاد

أما باقي الأبيات والتي عددها ثلاثة وعشرون بيتاً، فقد شرحها الثغرّي شرحاً وافياً مبرزاً الجوانب العامة والدوافع الأصلية التي أدت به إلى وضع هذا النظم، والتي كانت بوجي من شعوره الصادق بأداء الأمانة العلمية والرسالة الربّانية كون العالم من ورثة الأنبياء، ثمّ تعرض في أواخر التمهيد إلى بيان تسمية الشرح، الذي كان مسجوعاً على طريقة العلماء المتقدمين. بعد ذلك جعل الثغرّي مقدمة ذكر فيها إجمالاً التأسيس اللغوي لكلمة مقدمة ثمّ تعرض لمعنى الفصاحة وما يتعلق بها، كما ذكر البلاغة بفنونها الثلاثة. فبدأ الحديث عن المعاني وذكر أسباب تقديمه وتعريفه وأبوابه التي حصرها في ثمانية أبواب:

الباب الأول: جاء فيه بتعريف وأحواله وما يؤكد الخبر كما أفرد للإسناد العقلي فصلاً أبرز فيه الحقيقة العقلية وأقسامها وكذا المجاز العقلي.

الباب الثاني: وفيه أحوال المسند إليه وحذفه وذكره وتعريفه وتنكيره ووصفه وتأكيده وتقديمه، وأفرد فصلاً خاصاً بالخروج عن مقتضى الظاهر بذكر وضع المضمّر مكان الظاهر، ووضع الظاهر مكان المضمّر، وأسلوب الحكيم والالتفات، والتعبير بالماضي عن المستقبل والقلب.

الباب الثالث: وجاء في أسباب تناوله بعد المسند إليه، ثمّ ذكره وحذفه وإفراده ووقوعه فعلاً أو اسماً وتقييده وعدم تقييده وتخصيصه بالصفة أو بالإضافة وتأخيره وتقديمه.

الباب الرابع: ذكر فيه أوّل المتعلّقات المفعول به، حيث تطرّق إلى حذفه وتقديمه على الفعل، كما تعرّض لتقديم بعض معمولات الفعل على بعض.

الباب الخامس: شرح فيه تعريف القصر وأقسامه، وأقسام القصر الإضافي وطرق القصر تبعاً.

الباب السادس: وفيه تعريف الإنشاء وأنواع الإنشاء الطلب وأغراضه مع ذكر أدوات الاستفهام في غير معانيها الأصلية ووقوع الخبر موقع الإنشاء.

الباب السابع: وفيه معنى الوصل والفصل ومواضعها ومحسّنات الوصل.

التنظير البلاغي عند الثغري، التأصيل والإجراء _____ مجلة فصل الخطاب

الباب الثامن: وفيه تعريف كل من الإيجاز والإطناب والمساواة مع بيان أقسام الإيجاز والإطناب.

ثم انتقل إلى الحديث عن العلم الثاني وهو البيان فأبان فيه سبب تقديم هذا الفن عن علم البديع، ثم تعرض لتعريفه وذكر أقسامه التي أوصلها إلى ثلاثة أبواب وثمانية فصول.

فصل في الدلالة الوضعية: بعدما عرّف الدلالة ذكر أهمية تناولها في مقدمة هذا الفن ثم شرع في ذكر أقسامها وأقسام الدلالة الوضعية.

الباب الأول في التشبيه: وفيه تعريف وأركانه وأدواته وأقسامه والغرض منه.

فصل في أعلى مراتب التشبيه: إذا كان الأخضر لم يتعرض لشرح هذا الفصل⁽¹⁶⁾ فإن الثغري شرح هذه الجزئية وذكر فيها أنّ هذه المراتب ثمانية أعلاها ما حذف منه وجه الشبه والأداة فحسب، أو مع حذف المشبه.

الباب الثاني في الحقيقة والمجاز: وفيه تعريف الحقيقة والمجاز وأقسامها مع ذكر المجاز المرسل وأنواعه، ثم عرّف الاستعارة.

- فصل في الاستعارة: وفيه تعريفها وأقسامها بجميع الاعتبارات

- فصل في حسن الاستعارة: وفيه شروط حسن الاستعارة بعيدة عن التشبيه، ثم انتقل إلى الحديث عن المجاز المركب: وفيه المجاز المركب بقسميه المجاز الاسنادي والاستعارة التمثيلية.

- فصل فيما تغيّر إعرابه: وهو المجاز بالحذف والزيادة.

الباب الثالث في الكناية: وفيه التعريف والأقسام والأغراض

وقد خصّص فصلاً للحديث عن مراتب المجاز والكنى: ذكر فيه ثلاثة أنظار: النظر الأول فيما بين المجاز والحقيقة، والثاني فيما بين الكنى والتصريح، والثالث فيما بين الاستعارة والتشبيه.

أما الفن الأخير الذي تكلم عنه الثغري فهو البديع فتعرّض فيه للتعريف وإبراز حقيقة أنّه تابع للبلاغة لا جزء منها، بل هو كنسبة الزعفران إلى الطعام⁽¹⁷⁾. ثمّ شرح قسميه أو ضربيه المعنوي واللفظي.

- الضرب المعنوي: أوضح أنواعه، وهي المطابقة، وتشابه الأطراف، والموافقة، والعكس، والتسليم والمشاكلة، والمزاوجة، والمقابلة، والرجوع، والتورية، والجمع والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم واللف والنشر، والاستخدام، والتجريد، والمبالغة، والتفريع، وحسن التعليل، والمذهب الكلامي وتأکید المدح بما يشبه الذم، وتأکید الذم بما يشبه المدح، والإدماج، والاستتباع، والتوجيه، والهزل الذي يراد به الجدّ، وتجاهل العارف، والقول بالموجب والاطراد.

- الضرب اللفظي: وذكر أنواعه وهي الجناس، مبينا أقسام الجناس التام من متماثل ومستوف والملحق بالجناس وجناس الإشارة ورد العجز على الصدر، ثم فصل في السجع في تعريفه وأنواعه ومحاسنه والتشطير، ثم فصل في الموازنة ثم ذكر القلب والتوشيح والالتزام. وبعد أن عرّج الثغري على فنون البلاغة الثلاثة المعروفة راح يتحدث عن السرقة وتسمياتها، فقسّمها إلى مجموعة أقسام وهي:

- تذييب بألقاب هذا الفن: وفيه ذكر بقية المحسنات المعنوية واللفظية: التوشيح والترديد والترتيب والاختراع والتعديد والتطيرز والتدبيح والاستشهاد والإيضاح والائتلاف والاستطراد والإحالة والتلويع والتخييل والفرصة والتسميط والتعديل والتحلية والنقل والتختم والتجريد والاستقلال والتهكم والتعريض والإلغاز والترقي والتنزل والتأنيس والإيمان وحسن البيان والرّصف والمراجعة وحسن التخلّص.

- فصل فيما لا يعدّ كذبا: وفيه الإيهام والتهكم والتعالي.

الخاتمة: وفيها ما يوصل إلى التألّق في بدء الكلام وفي منتهاه.

أمّا الابتداء فذكر فيه محاسن الابتداء، وعذوبة المطلع، وبراعة الاستهلال، وصفة الانتقال من المطلع إلى المقصود في التخلّص والاقتراب وفصل الخطاب.

وأما الانتهاء فحتم الكلام بما يؤذن بانتهائه، أي حسن المقطع وبراعة الاختتام.

لقد كان منهج الثغري في تحقيق المخطوط خاصا، فيبدو أنّ الثغري من العلماء المغمورين، الذين لم تذكر المصادر شيئا عن حياته إلاّ ما ذكر بمناسبة وصف أو التعليق على مؤلّفه المعلق بشرح منظومه الأخضرى، والذي أبان من خلاله اهتمامه الكبير بالبلاغة العربية، مسائرا بذلك من سبقه ومن تأثر بهم من علماء لغة القرآن الكريم.

وهذا الشرح كباقي الشروح التي من أهمّ ما يميزها الالتزام بما ورد في المتن المشروح، فنجد الأخضرى قد التزم في شرحه بالمتن، وتقيد بموضوعاته وأبوابه وفصوله مرتبة وفق ما رتب به المتن وسار على دربه الثغري في شرحه الكبير. حيث التزم بما ورد في متن المنظومة من تبويب، كما تأثر بشرح الأخضرى والغزّي من حيث الأسلوب والألفاظ ومرجعية الطرح حيث يقول: "واعتمادي في التّقل على الشرحين وسعد الدين التفتازاني"⁽¹⁸⁾.

لكن إذا كان الثغري قد نهج سبيل سابقه كما صرح بذلك فهذا لا يعني انطماس وانعدام ذاتيته في شرحه، وإنما كان له حضور من خلال آراء وانتقادات وتوسّعات لم تكن عند من تأثر بهم.

ما يقتضيه التلخيص ختما أن الدرس اللغوي في مجال اللسان العربي عرف امتدادا أفقيا إقليميا وعموديا زمنيا بحيث هذا الجهد لم يكن حكرا على إقليم معين أو أشخاص

التنظير البلاغي عند الثغري، التأصيل والإجراء، مجلة فصل الخطاب
معينين بل تجاوزه إلى كل من اشرب قلبه حب القرآن الكريم واللسان الذي أنزل به هذا الكلام
وهو ما يشهد على عمق الأمة الإسلامية المترامية الأطراف من مشارقها إلى مغاربها والثغري لبنة
من اللبنة التي شيدت صرح الدرس اللغوي للسان العربي.
مراجع البحث وإحالاته:

- 1- ينظر ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تج: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1981، ج1، ص12 وما بعدها
- 2- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ضبطه وحققه وعلق على هوامشه، محمد سعيد العريان، بيروت، لبنان، ج1، د. ط، د. س، ص17.
- *- الثغري: محمد بن محمد كان حيا سنة 115م لم يعرف عنه شيء، وهذا ما قاله أبو القاسم سعد الله.
- **- الأخصري: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير (ولد 920هـ/1514م) في بن طيوس بسكرة، توفي سنة 983هـ/1575م، له مؤلفات عدة منها الجوهر المكنون في الثلاث فنون، السراج في الهيئة، السلم المرونق.
- 3- موضح السر المكنون على الجوهر المكنون، مخطط محقق، جامعة وهران، ص59.
- 4- شرح الثغري، مخطوط تحقيق زعفان حاج، رسالة دكتوراه، جامعة السانبا وهران، سنة: 2013م، ص59.
- 5- المصدر نفسه، ص65.
- 6- المصدر نفسه، ص71.
- 7- المصدر نفسه، ص72.
- 8- المصدر نفسه، ص23.
- 9- المصدر نفسه، ص195.
- 10- المصدر نفسه، ص306.
- 11- المصدر نفسه، ص205.
- 12- المصدر نفسه، ص119.
- 13- المصدر نفسه، ص189.
- 14- المصدر نفسه، ص99.
- 15- المصدر نفسه، ص122.
- 16- المصدر نفسه، ص123.
- 17- المصدر نفسه، ص23.
- 18- المصدر نفسه، ص23.